



من السهل أن تكون الضحية والآخر المتهم

الباحثة المغربية أسماء المرابط: القراءة الذكورية قراءة تمييزية ضد النساء والرجال

● **العرب:** عطفًا عليه، أين تكمن الفروق بين القراءة الذكورية للإسلام وما تسمينه قراءة إصلاحية ونسوية جديدة، وهل هذا التقابل يخدم بالفعل الرؤية الإصلاحية في شكلها العام المرتبط بالأسئلة الجيوستراتيجية التي يمر منها العالم الإسلامي الذي يقع بين كماشنة التراث والتطور العلمي والتكنولوجي، وفي شكلها الخاص المرتبط بالمساواة بين المرأة والرجل في بعدها الحقوقي والسياسي؟

● **أسماء المرابط:** القراءة الذكورية ليست فقط قراءة تمييزية ضد النساء بل ضد الرجال والمجتمع كله لأنها وبكل بساطة قراءة اختلت بموازين العدل والقسمة والمساواة الذي أمر الله بالقيام بها بين البشر، واعتبرت هذه القراءة النصوص الدينية موجبة فقط للرجال فأصبح مفهوم الإنسان الذي هو مفهوم قرآني يشمل النساء والرجال معا وكأنه لا يعني إلا الرجل.

أغلبية العلماء أولًا وفسروا النص الديني من وإلى الرجال من منطلقهم كرجال وعقليتهم الذكورية، وأصبحت المرأة مجرد كائن ثانوي يجب عليه فقط الخضوع إلى الأوامر ولا حق لها إلا ما أعطاه إياه الفقيه الذي يتكلم باسم الشرع.

التدين والتحرر

شكلت ثقافة الخضوع هذه عند المرأة إحساسا بالودنية والقهر وربت أجيالا على هذا النموذج التمييزي والذي ربيت في نفوس الأطفال الإحساس بالإهانة والودنية والانهازية، وهذا كله انعكس على المجتمع بأسره، ولهذا فإعادة قراءة النصوص الدينية بنظرة نسائية هي ليست بنزعة نسوية تغريبية كما يعتقد الكثير بل هي قراءة لاسترجاع الموازين إلى أصلها، أي قراءة تسترجع المفهوم الإنساني الذي جاء به الوحي القرآني لتحرير البشر: الذكر والأنثى.

التدين أولا وقبل كل شيء ممارسة للمبادئ الأخلاقية التحررية، والتوحيد هو أن تتحرر من كل أنواع العبودية

فهذه القراءة النسائية ليست ضد الرجل بل بالعكس هي قراءة أخلاقية إصلاحية تحاول رد الاعتبار لكرامة الإنسان رجلا كان أو امرأة، وهنا تكمن المفارقة بين قراءة ذكورية استعلائية تمييزية وقراءة روحانية أخلاقية ترجع إلى روح وجوه القرآن الذي يامر بالعدل ويهين عن الظلم، فكفانا من الشعارات التي تصرخ ليلا ونهارا بان "الإسلام الحقيقية شعارات استعلائية يمن بها على النساء أن لديهن بعض الحقوق وهي في الحقيقة تكريس للتمييز باسم الدين، فالله كرم الرجل والمرأة معا وخلقهما من نفس واحدة، وخلق الناس أحرارا ولا حاجة لنا بهذه الشعارات التقليدية التبريرية، لأننا وبكل بساطة أدركنا أن رسالة الإسلام رسالة لتحرير الإنسان رجلا أو امرأة من الاستبداد المعنوي باسم الدين وحان الوقت إذن لتفعيل هذه المبادئ على أرض الواقع.

● **العرب:** انطلاقا من إيمانك بالمساواة قلت أيضا إنك تؤمن بالعدل القرآني، لكن كيف تردين بشكل علمي على من يقول إنك تجاوزت مضامين آيات القرآن وأصوله القطعية خصوصا في مسألة الإرث بالذات؟

● **أسماء المرابط:** القرآن أعطى للنساء نصيبا من الموارث في القرن السابع وهي لا تساهم في مجتمعه القبلي فكيف اليوم في عصرنا وهي في بعض الحالات تحول أسرة بكاملها؟ لا بد هنا أن نذكر أن أحكام المتعلقة بالأسرة والمرأة خضعت دائما للاجتهاد وأخذ فيها بالاعتبار المقاصد الشرعية والعرف والعادات ومتغيرات المجتمع ومصحة الأسرة. واتساع كيف مثلا في قضية التعصيب تنرك الأم وبناتها اللواتي اعتدنا بآبهن معنويا وفي بعض الأحيان ماديا أن يتم منعهن من أخذ نصيبهن من طرف الأعمام أو أبناء الأعمام فيما هم لم يعتنوا أبدا بالمرحوم ولم يقوموا حتى بزيارته؟

من بين الحلول التي يمكن أن تطبق لإنصاف الجميع هو جعل جميع قضايا الموارث تحت حكم القضاء لكي يتأكد من أن لا أحد مظلوم في توزيع التركة مثلا. ولهذا لا بد أن نتناقل جل هذه الأمور بعيدا عن الحساسيات الأيديولوجية أو الحسابات السياسية الضيقة وأن يكون هناك نقاش هادئ ورضين بعيدا عن أي غلو ديني أو فكري يحترق الحقيقة المطلقة، وضمن فضاء يجمع جميع الفعاليات الدينية والاجتماعية وذوي الاختصاصات العلمية الأخرى لإيجاد حلول ملائمة من داخل مرجعيتنا الإسلامية ولمصلحة الناس والمجتمع وخاصة منهم الفئة البهشة التي هي تعاني من الظلم على جميع المستويات.

● **أسماء المرابط:** تاريخ العالم الإسلامي هو الذي نبئت ذلك، فالفكر الإصلاحية كان موجودا منذ القرون الأولى وكان دائما تيارا أقلية وتيارا مضطهدا بامتياز وفي مواجهة دائمة مع التيار التقليدي.

أسماء المرابط باحثة مغربية متخصصة في قضايا متعلقة بالمرأة والإسلام وإحدى أبرز ممثلات الحركة النسوية الإسلامية. رؤيتها لهذه المسائل المرتبطة بهذه الموضوعات من منطلق تحرري حدثت جعلتها في موضع انتقاد من قبل العديد من الجهات التي تمثل التيار المحافظ في المغرب، على اعتبار أن أراها في الإرث والمساواة في الحقوق تمثل هدما للمرجعية الإسلامية. «العرب» كانت وقفة مع المرابط لسبب أغوار ما تدافع عنه وتؤمن به من أفكار تعتبرها تدخل ضمن القراءة المقاصدية لقضايا الإسلام من منطلق إصلاحي.



محمد ماموني العلوي صحافي مغربي

● **العرب:** تصفين نفسك باحثة وكاتبة ومفكرة وليست بعامة دين، رغم أنك اشتغلت في الرابطة المحمدية لعلماء المغرب والتي تجمع ثمة من العلماء والفقيهاء، فهل هذا يمثل نوعا من التواضع العلمي يشفع لك في ما تقدمينه من اجتهادات فقهية؟ وهل عدم تقاضيك اجرا نظير عملك في الرابطة يعني من تحمك مسؤوليات مراجعاتك وأفكارك التي يمكن تصنيفها بالتحريرية مقارنة مع ما تتلوه الرابطة المحمدية كمؤسسة رسمية؟



● **أسماء المرابط:** نعم لست بعامة دين وهذا ليس لا تواضعا ولا تبريرا بل هو بكل بساطة حقيقة، فليس لدي أي شهادة أكاديمية في مجال الدراسات الإسلامية أو الشرعية وأعتبر نفسي باحثة أو بالأحرى "طالبة علم" في هذا المجال، وقد تراكم لدي رصيد معرفي أعز به لأنه وكما قال الرسول الكريم «إنما العلم بالتعلم»، ثم إن البحث عن المعرفة الدينية ليس حكرا على أي أحد مع كل احترامي واعتراضي بضرورة وجود ذوي الاختصاصات من علمائنا وعالماتنا في هذا المجال، ويبقى بالنسبة لي هذا الطريق الذي سلكته طيلة 20 سنة بمثابة شغف معرفي وحرقة على ديني أكثر من أي شيء آخر.

أما بالنسبة إلى اشتغالي في الرابطة المحمدية للعلماء فاولا، هي مؤسسة هدفها البحث العلمي والمعرفي مفتحة على جميع الاختصاصات وأغلبية من ينسغلون فيها كباحثين وباحثات هم من خارج التخصص في العلوم الدينية.

وثانيا، كانت الرابطة بالنسبة لي بمثابة مدرسة تعلمت فيها الكثير وتجربة إنسانية ومعرفية وعلمية مهمة في حياتي افتخر واعتز بها، أما بالنسبة إلى عدم تقاضي اجرا فهذا كان شرطي الوحيد منذ البداية وبكل بساطة لأنني كنت أعمل كطبيبة متخصصة، وكان لدي راتب شهري ولم أكن بحاجة لأي تعويض مالي، وهذا بالنسبة لي كان بديها وأضعف الإيمان أخلاقيا، والزعم بان المقابل هو سبب إعفائي من المسؤولية غير صحيح بالمره لأنني كنت دائما حرة في أفكاري ولكن في ما يخص مشاريع أو أعمال تخص المؤسسة فكنت أتحمل مسؤوليتها وقرار تنفيذها طبعيا بالاستشارة الدائمة مع السيد الأمين العام للرابطة.

ضد القراءة الذكورية

● **العرب:** عندما استعرضت رأيك حول المساواة والإرث والتعصيب، برز لساحة النقاش من يقول إنه لا يمكن الخضوع فيه إلا في دائرة الشرع، والحسم فيه يكون بيد ذوي الاختصاص، وأن الموضوع سياسي وأيديولوجي بالدرجة الأولى. كيف تردين على هذا الطرح؟

● **أسماء المرابط:** الإرث والتعصيب هي مواضيع في صميم اهتمامات الناس ومستقبل أطفالهم وأسرتهم ومرتبطة بحياتهم المعيشية وتطور المجتمع ولا بد للقوانين أن تتساير مع هذه التطورات الاجتماعية لكي تكون أكثر إنصافا. والقرآن الكريم أعلننا نماذج كثيرة رائعة في كيفية المواكبة التدريجية لإصلاح المجتمع، فمثلا بالنسبة إلى الإرث قبل الإسلام لم تكن لعموم النساء وكبار السن من الرجال والأطفال أي حق في الموارث

الطريق لا يزال طويلا لتغيير العقلية

● **أسماء المرابط:** كل واحد من هؤلاء المفكرين له منهجه الخاص ومقاربه المتميزة للنص الديني، ولقد وجدت عند كل واحد منهم تحليلا أو فكرة أعجبتني أو شرحا لمفهوم ذور عقلي ولا أنسى كذلك نساء مفكرات مثلن مراجع لي كعائشة عبدالرحمان وفاطمة المريني، إذ تعلمت من كل واحد منهم ومنهن الكثير. ولكن وبكل صدق يبقى فكر عابد الجابري الأقرب إلى قلبي وعقلي، إذ أن كتبه وأفكاره جعلتني أجتهد لكي أبلور فكريا دينيا يعتمد على العقلانية والمنطقية واستعمال النظرة النقدية وروح الانفتاح على المعرفة الكونية والتحرر من التقليد الأعمى.

أسماء المرابط

● من مواليد الرباط في العام 1961، شاركت في مؤتمرات دولية وقدمت العديد من المحاضرات حول موضوعات الإسلام والمرأة. وعينت رئيسة "للمجموعة الدولية في التفكير في قضايا المرأة في الإسلام" من سنة 2008 إلى 2010.

● كما عينت رئيسة "مركز الدراسات والبحوث في القضايا النسائية في الإسلام" بالرابطة المحمدية للعلماء من سنة 2010 إلى مارس 2018، عندما استقلت من مسؤولياتها.

● وهي عضو في المكتب الأكاديمي لشبكة الدولية مساواة، عضو المجلس الإداري لمؤسسة الثقافات الثلاث بمدينة إشبيلية لها العديد من المؤلفات في هذا الموضوع، منها:

● «عائشة أو الإسلام المؤنث» دار النشر Tawhid سنة 2004، فرنسا، وترجم إلى الإيطالية والهولندية والإسبانية.

● «القرآن والنساء: قراءة للتحري»، دار النشر Tawhid سنة 2007، فرنسا. وترجم إلى الإسبانية الكتالونية والإيطالية والإنجليزية والعربية.

● «الإسلام، المرأة والغرب» - Seguer- Atlantica، فرنسا، نونبر 2010.

● «النساء والرجال في القرآن: أي مساواة؟» دار النشر al-bouraq بفرنسا. CHEMINS بالمغرب، و al-bouraq بفرنسا.

● «الإسلام والمرأة: الطريق الثالث»، ترجمة بشرى لغزالي، دار مرسم 2014.

● «Women in the Qur'an: An Emancipatory Reading» May 24th 2016 by Kube Publishing

● «الإسلام والنساء: الأسئلة المزعجة» مطبعة en toutes lettres فبراير 2017 والذي حاز على جائزة الأطلس الكبير لسنة 2017

الظاهرة بقوة القانون والحقوق المتوفرة لهم وليس بالاستفزاز أو التطرف كيف ما كان نوعه.

ثانيا، بمراجعة بعض تصرفاتهم ومعاملتهم مع الآخرين، لأنه من السهل أن تكون في موقع الضحية ويكون الآخر دائما المتهم بفشلك ولهذا لا بد من الاعتراف بان هناك أيضا اختلالات عميقة داخل الجاليات المسلمة وهذا يتطلب نوعا من الشجاعة الأدبية والنزاهة الأخلاقية للقيام بنقد ذاتي صريح وشامل.

● **العرب:** تعترفين أن خلفيتك العلمية والثقافية لم تسعفك بداية الأمر للخوض في أمور الدين والتدين، لكنك تغرقت لدراسة المواضيع المتعلقة بالإسلام كما انكبت على تجارب ومقاربات أخرى شكلت لديك قناعات ورؤى تنهل من القاموس الحدائي، فهل يمكن القول إنك أردت إسقاط مقولات لاهوت التحرير الذي تعرفت عليه في أميركا اللاتينية بدلالاته السياسية والاجتماعية على قضايا الإسلام؟

● **أسماء المرابط:** لما عشت بأميركا اللاتينية كنت قد بدأت مساري البحثي في الدين وكنت قد أنجزت كتابين، واكتشاف ظاهرة اللاهوت التحريري في بعض أبعاده التحريرية مثل الدفاع عن الفقراء والمهمشين (مع تحفظي الشديد ورفضي للأفكار النيولوجية الأخرى مع كل احترامي طبعاً) الحرية المعتد لدى هذا التيار، كان بالنسبة لي تكريسا لمعاني قد مررت بها حين قراءتي للقرآن الكريم، ولكن لم أستوعبها في الأول مثل مفهوم "المستضعفين في الأرض" الذي جعلني أغير مقاربتني للدين، فتبينت أن التدين أولا وقبل كل شيء هو ممارسة للمبادئ الأخلاقية التحررية، وأن التوحيد هو أن تتحرر من كل أنواع العبودية كيف ما كان نوعها: سياسية أو أيديولوجية أو سلطوية أو مادية، وأن تكون دائما بجانب المظلوم والمستضعف في هذه الدنيا وهذا أظن جوهر رسالة جميع الأنبياء والذي وللأسف تم تغييره وتحريفه من طرف تجار الدين عبر التاريخ وفي كل الديانات.

● **العرب:** قرأت لكل نصوصا بخصوص علي شريعتي، والطاهر بن عاشور، والطاهر حداد، وعلال الفاسي، ومحمد عابد الجابري، ونصر حامد أبو زيد. وسابقا سيد قطب، أين تجدين نفسك في هذا المزيج من الروح الدينية الإسلامية ومستوى التحرر من مقال التقليدي والمحافظة؟

والذي يقرأ تاريخ الإسلام وجميع الفتن والخلافات السياسية التي مر بها يدرك أن التيار التقليدي كان في أغلبته يساند القوة والسلطة للمحافظة على مصالحه، ولكن أيضا لحفظ الدين مخافة الفتن، ولهذا فضل الجمود الفكري والظلم الاجتماعي على الاجتهاد الديني، وكما قال المفكر عابد الجابري "الرغبة في اتقاء الفتنة قد بررت على الدوام قبول العيش باستكانة".

ولكن ميزة التيار الإصلاحي رغم أقليته هي أن قوته تكمن في كونه يرى أن الاجتهاد هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على "العروة الوثقى" للدين ومصحة الناس قبل كل شيء، ويرى العدل كجوهر للدين، ولهذا ومع تطور أفكار الناس ونضج المجتمع ووعيه تصبغ الأفكار التي كانت غير مقبولة بالأسس بديهية وقابلة للتطبيق. وأكبر برهان على هذا في عصرنا داخل المغرب مثلا هو إصلاح مدونة الأسرة الذي كان التيار التقليدي المحافظ يعتبر أي إصلاح لخصاميتها القديمة بغبابة المس بؤاقت الدين، واليوم لا أحد يجادل في هذا بل بالعكس الكل ينوه بالنموذج الإصلاحي المغربي.

● **العرب:** سبق وقلت إن حرب الخليج الأولى في ثمانينات القرن الماضي، خلفت لديك صدمة هوياتية وحضارية، جعلتك تهتمين بقضايا الإسلام والإصلاح، هل لازالت آثار الصدمة ماثلة مع توالي التحديات التي خاضتها المنطقة ليست آخرها تداعيات ما يسمى بالربيع العربي، وكيف تعلقن على سياسة بعض الحكومات الغربية تجاه قيم الإسلام والمسلمات بشكل خاص اللواتي هن مقتنعات بلباس الحجاب؟

● **أسماء المرابط:** بالنسبة إلى سياسات بعض الحكومات الغربية تجاه الإسلام وبشكل خاص النساء المحجبات، أرى أن كل ما يحدث هو عبارة عن تراكم تاريخي كولونيالي لا زال يهيم على مخيال الكثير من الغربيين وهي أيديولوجيا عنصرية وللأسف ازادت تشددا في السنوات الأخيرة. ولكن ورغم إقرارنا بان الإسلاموفوبيا متشعبة في تلك المجتمعات الغربية وأنه أصبح من الصعب على الكثير من المسلمين التعايش بسلام هناك، فلا بد للمسلمين أولا، أن يواجهوا هذه

